إضاءات على
رجال
من هذا المكان

مقدمة :

في شهر آذار من عام 1961 انتقل أهلي من قرية القنية في شمال غرب سوريا إلى الشام

كنت موجودا معهما في ذلك الوقت ولكن في بطن أمي لأنني ولدت في 5-8-1961 بالشام

كان سبب هذا الإنتقال هو أن والدي أثناء وجوده بالشام لتقديمه لإمتحان إحدا سنوات كلية الحقوق التي كان مسجلا فيها طالبا بدون دوام

قد قدم على مسابقة للبنك المركزي (مصرف سوريا المركزي) لتعيين موظفين في بنكه بالشام

ونجح في ذلك الإمتحان بترتيب الثاني من أصل 1,200 إنسان فجاء مع زوجته وإبنتاه ليلتحق بوظيفته الجديدة في الشام

كان عمر والدي آنذاك 29 عام قضى منها 16 عام في يافا بفلسطين خرج منها في أيار 1948 وقضى منها سنتان في مدرسة الأب سالم الداخلية في اللاذقية بسوريا تخرج منها يحمل شهادة البكالوريا الفرع العلمي في عام 1950

وقضى منها 11 عام مدرسا في قرية القنية

في 21 من عمره تزوج من أمي أي في عام 1953

وبعد 3 سنوات أي في 1956 أنجبت أمي أختي الكبيرة لبيبة

وفي عام 1959 أنجبت أمي أختي الثانية كليمانص

عمل والدي في البنك المركزي حتى عام 1991 ومدد له حتى عام 1997 أي 36 عام

سأتناول في كتاباتي اللاحقة عن أحداث حقيقية حدثت داخل البنك المركزي كان هو شاهد عليها رواها لنا

والهدف من كتابتي لها المتعة والفائدة ومدى ضعف الإنسان أمام المال

لا أريد لكتاباتي عن والدي أن تنحصر في الفترة الزمنية في عمله في البنك المركزي بل أريد لها أن تمتد لكل فترة حياته ذات ال 85 عام والتي واجه فيها ألمه النفسي وألم وطنه الفلسطيني والسوري والأرمني وألم الحياة لإعالة عائلة من تسعة أنفس

هذا الألم الذي رافقه طيلة حياته لم يستطع التحرر منه إلا بالموت

فكان الموت بالنسبة له هو الحياة وكانت الحياة بالنسبة له هي الموت

لن يكون هناك تسلسل لقصة حياته التي سأرويها بل ستكون قصته عبارة عن مجموعة من الإضاءات على مشاهد عنه محتفظة في ذاكرتي

لن أطيل عليكم ولننطلق معا

الإضاءة الأولى

كانت الساعة تعير عليه ولايعير نفسه على الساعة

يستيقظ في السادسة صباحا يحلق يفطر يستمع لنشرة الأخبار ينطلق لعمله في 7:30 يبدأ دوامه في الثامنة

يغادر البنك في الثانية ظهرا يصل لبيته في 2:30

نعلم بوصوله من خلال خربشة المفتاح في باب الدار

الجميع في البيت يأخذ نفس مع سماع هذه الخربشة لأن أي تأخير في صوتها يعني أن هناك مصيبة قد حدثت في البنك والله يستر

كان والدي واحد من ثلاث موظفين في البنك المركزي الذي يحمل مفتاح الخزينة التي لاتفتح إلا بوجود هذه المفاتيح الثلاث مع وجود موظف رابع لا أحد غيره يعرف الرقم السري للخزينة

لم تكن المهمة فقط في فتح وإغلاق الخزنة هو وزملائه الثلاث بل كانت في تحمل مسؤولية ماتحتويه هذه الخزنة من أموال سورية وقطع أجنبي وسبائك ذهبية لتغطية العملة السورية

ففي 8:30 من كل صباح على هؤلاء الأربع أن يقوموا سوية بفتح الخزنة وتسليم النقود إلى أمناء الصناديق في عرباتهم والعودة في 1:30 ظهرا لإستلام ماتبقى من النقود من أمناء الصناديق مع بيانات المدفوعات اليومي لكل أمين صندوق

وكل فترة زمنية عليهم بجرد محتويات الخزنة ومطابقتها مع الأرقام لديهم

هذه المسؤولية التي كان يحملها والدي لم تأتي إليه نتيجة لمركزه الوظيفي بل نتيجة لعرف مأخوذ من نظام البنوك السويسرية التي كان يقوم عليها مصرف سوريا المركزي هذا العرف الذي كان فيه حامل المفتاح هو من يقرر من يتابع من بعده حمل المفتاح ولايستطيع أحد حتى حاكم المصرف أن يتدخل في قراره

لا أعرف في أي عام حمل والدي هذا المفتاح لأن أحد المدراء وهو على فراش المرض والموت أوصى أن ينتقل مفتاحه إلى هذا الشاب الذي اسمه لوسيان عبد المسيح نظليان ولكنني كل ما أذكره أن والدتي كانت مدهوشة ومعجبة بوالدي كيف تم إنتقائه من كل موظفين البنك لهذه المهمة

ولكن مع مرور الأيام والسنين أخذت تلعن هذا المفتاح والساعة التي حصل فيها عليه كلما تأخر عن عودته إلى البيت بعد الساعة 2:30 ظهرا

دقت ساعة الحائط في منزلنا 2:30 ظهرا ولكن صوت خربشة المفتاح بالباب لم يسمع أيقن الجميع أن مصيبة ما قد وقعت وما علينا سوى الإنتظار

توالت دقات الساعة على الثالثة 3 دقات وعلى النصف ساعة دقة

ودقت أربع دقات ولم يسمع صوت خربشة المفتاح

كانت أمي تردد طول الوقت مايروحوا يحبسوه ما يكون غلطان شي غلطة والله أبوكم إذا حبسوه مابيتحمل يادلي يالوسيان والله لتموت من أول يوم وتبدأ تجهش بالبكاء

في هذا الجو القلق تبدأ عقارب الساعة بالطواطئ معه فتبطئ من سرعة حركتها ويأتي طنين الساعة الخامسة متأخرا جدا عن موعده

كل ما أذكره عن هذه الفترات التأخرية أن جميعنا ليس لأحد فينا رغبة في الدراسة أو اللعب أو الأكل حتى أمي المعروفة بعزيمتها ونشاطها تنشل حركتها ويبقى الطعام على الطاولة ويصبح كل شيء بارد في البيت حتى المدفأة

على 6:30 يسمع صوت خربشة المفتاح بالباب ويطل علينا والدي ونأخذ جميعنا نفسا عميقا هو ونحن فتركض أمي لتسخين الغداء ونلتف نحن حول الطعام معه لنأكل و لسماع ماحدث معه لأن أمي لايهدأ لها بال إلا لتعرف هل انتهت القصة عند عودته أم أنه سيتابع التحقيق معه في القادم من الأيام

جلس والدي أمام طعامه و بين اللقمة واللقمة يسرد لها ولنا وقائع ماحدث له ويردد شكره لله بقوله : كيف الله خلى هالعتال يحس بخفة هالصندوق حتى إنكشفت هالسرقة ولا كنا رحنا فيها أنا ورفقاتي وماعدى البهدلة

فماذا حدث في ذلك اليوم وماقصة هذا العتال الذي كشف السرقة ؟

أفتتح المصرف المركزي في 1-8-1956 من قبل الحكومة السورية برأس مال وقدره عشرة ملايين ليرة سورية

وكانت العملة السورية تطبع في كل من سويسرا وكندا وبلجيكا وروسيا والهند من خلال طرح مناقصة تأخذ بعين الإعتبار العوامل الفنية والسعر

وفي فترتنا الزمنية التي نحن نتحدث عنها واليوم الموصوف أعلاه كان البنك المركزي قد أنهى عملية طبع فئة 500 ليرة سورية لأول مرة و سيقوم البنك بإستلامها

وصلت سيارات البنك المصفحة المسؤولة عن حماية نقل الأموال مع الشاحنة التي تحمل المال في صناديق خشبية مرصصة مختومة بختم الدولة الصادرة عنها إلى قبو الخزينة الواقع في أسفل بناء البنك المركزي قادمة من اللاذقية مكان رسو السفينة التي نقلت المال إلى سوريا

وكان والدي مع الثلاثة الباقين جاهزين لإستلام الحمولة والتوقيع على إستلامها

بدأ العتالة الذي يستأجرهم البنك في كل مرة بتنزيل الصناديق من الشاحنة على أكتافهم إلى داخل الخزنة

وبدأ والدي مع زملائه بعد الصناديق والتأكد من رصرصتها لأنهم في مثل هذه الحالة لايستطيع كل موظفين البنك من عد الأموال في الصناديق

كان كل صندوق مكتوب عليه رقم وعلى جدول لديهم كل رقم يصف ماذا يوجد داخل صندوقه وماهو الرقم التسلسلي للعملة بداخله من رقم ..... إلى رقم.....

وكانت كل الصناديق القادمة تحمل نفس الفئة النقدية وهي ال500 وبالتالي كلها لها نفس الحجم والوزن

في منتصف عملية التفريغ صاح أحد العتالة مازحا لرفاقه بعد أن حمل الصندوق وسار به قليلا الجملة التالية : هذا الصندوق غير خواتو!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

قال له زميل والدي : شو قصدك غير خواتو ؟

فرد عليه العتال : هالصندوق خفيف مو متل الباقي

يتبع.....

طلب الموظف من الجميع بصوت عالي التوقف عن متابعة العمل

أنزل الصندوق من على كتف العتال

تم فحص ختم الرصرصة على الصندق فوجد أنه ملعوب فيه

تم فتح الصندوق فوجد أنه غير ممتلئ بالنقود إلى حافته العلوية

تم عد النقود التي فيه فتبين أنها ناقصة عن مايجب أن تكون بمقدار التلت

عاد والدي مع إثنين من زملائه الثلاث إلى داخل الخزنة للتأكد من سلامة الصناديق المستلمة وبقي الرابع أمام الشاحنة التي فرغت لنصفها تقريبا مانعا أي كان من الإقتراب من الصناديق التي فيها

لم تعد عملية فحص أختام الصناديق كافية للإستلام

ولم تعد عملية فتح الصناديق وعد مافيها من مسؤولية أبي وزملائه لأنه هناك حدث جرمي قد وقع

تم إخبار المسؤولين الأعلى في البنك عن مثل هذه الحالة فحضروا مسرعين لمعاينة الواقعة وتثبيت النقص قبل أن يتورط البنك وموظفيه فيه

وتم إستدعاء الأمن الجنائي فرع الخزينة المسؤول عن حراستها وأمنها للتحقيق بالموضوع وتثبيت الحادثة والنقص في الأموال

حاولت أمي عدة مرات معرفة كم هو المبلغ المنقوص أو كم عدد الصناديق الملعوب فيها ؟

ولكن والدي كان يضحك من سؤالها ويقول لها بلهجة قريتنا القنية : شغلة كبيرة كتير إيش بدك فيها المهم هاي هو جوزك حدك ويردد عبارته التي لم ينساها أبدا : دخيلك يا الله كيف ألهمت لهالبني آدم أنو يكشف هالسرقة

ماذا حدث في ذلك اليوم ؟

كم حجم المال المسروق ؟

من سرق؟

كيف تمت عملية السرقة؟

أين تمت العملية؟

كل هذه الأسئلة توقف التحقيق عندها لأنه وصل إلى نقطة لايستطيع الإستمرار من بعدها

لأن أقرباء رئيس البلد باللاذقية هم من كان سيصل إليهم التحقيق

طلبت الحكومة السورية المتمثلة برئاسة مجلس الوزراء التابع لها البنك المركزي من الدولة التي طبعت الأموال عندها بتزويدها بالنقص الحاصل في الصناديق متهمة إياها بأنها هي المسؤولة عن هذا الخطأ

وبعد صد ورد وتبادل الإتهامات تم التوصل إلى تسوية بين الطرفين يقتضي بموجبها بتوريد النقص الحاصل دون أن تدفع الحكومة السورية أي مبلغ إضافي على أن تقدم الحكومة السورية كتاب إلى الدولة الطابعة للمصاري تعترف فيه الحكومة السورية عن عدم مقاضاة هذه الدولة في حال ظهور قطعتين ورقيتين من فئة ال 500 ليرة سورية تحملان نفس الرقم التسلسلي

مات والدي ولا أحد يعرف ماهو المبلغ الذي أختفى في ذلك اليوم

ولكن الذي كنا قد عرفناه من والدي بعد سنتين من الحادثة أنه كان هناك أوراق نقدية من فئة ال 500 ليرة سورية قد بدأت تأتي للبنك نتيجة للتداول بها تحمل كل ورقتين نفس الرقم التسلسلي لهما

تنتهي هنا الإضاءة الأولى وقد تم كتابتها في يريفان من يوم الأثنيين 1-1-2018 .....

الإضاءة الثانية

كان عند والدي أحلام كثيرة ولكنه كان كل فترة يقلصها إلى أن وصلت إلى حلم واحد قبل مماته وهو أنه لم يعد يرغب في هذه الحياة وبمافيها

وهذا هو حلمه الوحيد الذي تحقق

يتبع.....

ليس لوالدي أحلام مستحيلة حتى أنه لم يستطع تحقيقها بل كانت أحلامه من أبسط الأحلام لا بل هي لم تكن أحلام بل حقوق له طبيعية ومع ذلك رغم كل كفاحه خلال 85 سنة لم يسطع تحقيق أي واحد منها

هو الذي كان يتقن الفرنسية والإنكليزية والعربية منذ كان عمره 16 سنة يوم خروجه من فلسطين

هو الذي حصل على شهادة الحقوق من جامعة دمشق

هو الذي داوم قبل الظهر في البنك المركزي وبعد الظهر عند التجار الدمشقيين ليراسل لهم بإنكليزيته وفرنسيته مراسلاتهم وعقودهم وتوكيلاتهم

هو الذي خدم البنك المركزي في حمل مفتاح خزينته مؤتمنا عليها لمدة 36 سنة دون أي مقابل أو تعويض مادي

هو الذي أفنى حياته في قسم الحوالات الخارجية لأنه يعرف لغات أجنبية

هو ..... هو ..... هو .....

ولكن ماهو هذا الحلم الذي هو حق طبيعي له ولم يستطع أبي تحقيقه ؟

يتبع.....

يبدو أنه من حظ والدي أن حلمه لم يتحقق لأنه كان هناك الملايين من السوريين أمثاله الذين حققوا أحلامهم ولكن هذه الأحلام كلها انهارت واحترقت ودمرت في السنوات الأخيرة

أنه حلم العمر في أن تمتلك بيت خاص بك في سوريا

يتبع.....

ولكن والدي حتى حصته من بيت أهله بالضيعة التي رممها وجعل منها غرفة نوم وغرفة جلوس ومنتفعاتهما بما كان معه من نقود قد ذهبت وذهبت معها القرية لأن مسلحين معارضين قد استولوا على المنطقة

هو الذي كان يردد دائما أنه لايريد شيئا من هذه الحياة سوى زيارة بيتهم بيافا ولو ليوم واحد

فقد والدي بيت طفولته ويافا وفقد حياته وحلمه وفقد بيت أجداده وقريته

يريفان في 2-1-2018

الإضاءة الثالثة

في سرقة حدثت بالبنك المركزي بقي والدي حتى وفاته مستغربا ومصدوما وحزينا ليس منها ولا من المبلغ المسروق بل من من كان يعرفهم جيدا و قاموا بتلك السرقة

فماهي هذه السرقة ؟

وكم كان المبلغ المسروق؟

ومن قام بها ؟

ولماذا أثارت إستغراب وصدمة وحزن أبي إلى هذه الدرجة ؟

يتبع.....

تاخر صوت خربشة صوت مفتاح أبي في باب الدار عن 2:30 ظهرا

وساد الصمت وتبادل نظرات القلق والإستفهام فيما بيننا

لم يكن لدينا جهاز اسمه التلفون آنذاك ليتصل عليه أبي ويقوم بإطمأننا

يتبع.....

وليس من المنطقي أن يتصل على هاتف الجيران ليخبر أمي عن ماحصل هذا إذا كان بالأساس عنده وقت ومسموح له أن يتصل وسيعرف كل الجيران أن أبو عبدو في ورطة وتعا بقى حلها إذا بتحلها

بدأت أمي بسيناريوها عن لعنة هذا المفتاح وعن الساعة تبعو

قد يتسآل سآئل ولماذا كل هذا الخوف والتوتر لما يحصل لكم طالما أنكم واثقين من أن أباكم شريف ونزيه ولايمكن أبدا أن يتورط؟

صحيح هذا السؤال بس لما تقع الواقعة بيصير 100 شيطان يركبك

لم يمضي الكثير من الوقت هذه المرة فبعد حوالي النصف ساعة

أطل علينا أبو عبدو بإبتسامته المعهودة

وجلسنا كلنا حول طاولة كل شيء في البيت نتناول غدائنا

وراحت أمي تستنطقه بعد أن أنتهى من إستنطاق الشرطة

كان بين الحين والحين يردد هذه الجملة : ماني زعلان غير على أمين هالصندوق كيف تورط بهالقصة شب صغير ماصرلو سنة متزوج له له له على هالقصة

فماهي هذه القصة؟

تحتوي كل قطعة نقدية ورقية على مايلي

توقيع لحاكم مصرف سوريا المركزي

توقيع لوزير الإقتصاد السوري

رقم تسلسلي واحد مطبوع مرتين عليها على اليمين وعلى اليسار

يقول القانون السوري لإستبدال أي عملة ورقية تالفة أنه على هذه العملة يجب أن يكون

إما توقيعين ورقم

أو رقمين وتوقيع

وبالتالي إذا كان لدينا ثلاث أوراق نقدية من نفس الفئة فأننا نستطيع الحصول منهم على ورقة نقدية رابعة قابلة للإستبدال وتبقى الأوراق الثلاث أيضا قابلة للإستبدال

مثال

لنفرض أنه لدينا 3 قطع نقدية من فئة 500 ليرة سورية

نأتي لأول ورقة ونقص منها توقيع فيبقى فيها توقيع ورقمين وتبقى قابلة للإستبدال

نأتي إلى الورقة الثانية ونقص منها التوقيع الثاني فيبقى فيها توقيع ورقمين وتبقى قابلة للإستبدال

نأتي إلى الورقة الثالثة ونقص منها الرقم فيبقى فيها توقيعين ورقم وتبقى قابلة للإستبدال

من هذه الأوراق الثلاث التي كانت عندنا حصلنا منهم على توقيعين ورقم وأصبح لدينا ورقة جديدة قابلة للإستبدال

وبالتالي من كل 3 أوراق يستطيع أي كان أن يحصل على 4 ورقات قابلة للإستبدال

في ملاحظة هنا أنه يوجد ورقتين قابلتين للإستبدال تحملان نفس الرقم التسلسلي

لماذا كل السوريون لايقومون بهذه العملية البسيطة ويصبح كل واحد منهم من الأثرياء طالما أن الموضوع بهذه البساطة الذي تطرحه علما أن القانون السوري لإستبدال العملة التالفة لم يتغير إلى الآن؟

الجواب ببساطة أن تكرار استبدال العملة أو أستبدال حجم كبير من العملة سيتم التدقيق فيه من تطابق الأرقام

فكيف تمت عملية السرقة ياشباب؟

العملية تمت بكل بساطة واستمرت 3 سنوات بشكل يومي ماعدا أيام الجمعة والعطل والإحتفالات لأن الموظفين المسؤولين في البنك عن إستلام العملة التالفة هم من كان يقوم بإتلاف هذه العملة بالطريقة المذكورة أعلاه وهم من كانوا يستلمونها وهم من كانوا يستلموا بدلا عنها عملة جديدة خالية العلام

فمن هم هؤلاء الموظفون ؟

وماهي مهمة كل واحد منهم بالذات ؟

وكم المبلغ الذي جمعه كل واحد منهم خلال 3 سنوات؟

وماهو المبلغ الذي كان ممكن أن يجمعه الواحد منهم لو لم يتم كشفهم ؟

وكيف تم كشفهم ؟

لن أقول لكم يتبع الآن.....

لأنني أنا أصبحت أكثر منكم متحمسا لمتابعة هذه الأحداث بس عملت الآن بوست على الذي كتبته لأنني أخاف أن يمحى لسبب ما وأنا سهران ماني رايح نام لأنهي هذه الإضاءة بالذات

تحتاج العملة التالفة حتى تستبدل في البنك المركزي وفروعه في كافة المحافظات على مطابقة أولا العملة الورقية للقانون أعلاه وعلى سلسلة من الإجراءات التي تتم داخل البنك

فماهي هذه السلسلة ؟

عندما يأتي أي مراجع للبنك يحمل عملة ورقية تالفة يريد إستبدالها يدلونه على الموظف المسؤول عن إستبدال العملة التالفة

يتحقق الموظف المسؤول من مطابقة العملة المراد إستبدالها من تحقيقها لشروط الإستبدال المذكورة أعلاه

ثم يطلب الهوية الشخصية للمراجع ويملأ الإستمارة الخاصة بإستبدال العملة التالفة للمراجع على الإستمارة ويوقع الموظف على صحة المعلومات في الإستمارة

يحول الموظف المراجع مع عملته والإستمارة مع الهوية إلى المدير المسؤول على الموافقة النهائية على عملية الإستبدال فيقوم المدير بالتحقق من كل الأشياء ويوقع على الموافقة

ثم يذهب المراجع لأي أمين صندوق من أمناء الصناديق السبعة الموجودين في الطابق الأرضي في البنك

فيقوم أمين الصندوق بالتأكد من الهوية وصاحبها ومن المعلومات في الإستمارة ومن التواقيع

ويرجع للمراجع هويته ويعطيه مبلغا جديدا يعادل المبلغ التالف ويأخذ أمين الصندوق المبلغ التالف مع الإستمارة ويدع المراجع يوقع على الإستمارة بأنه قد أستلم المبلغ

على الساعة 1:30 ظهرا من كل يوم دوام تفتح الخزنة ويتم إستلام النقود من أمناء الصناديق السبعة مع مطابقة كل أمين صندوق لصندوقه وتوضع النقود التالفة في الخزنة في أكياس خاصة بها منعا لتداولها مرة ثانية

إذا تحتاج عملية الإتلاف إلى إتفاق 3 موظفين فقط وهم الذي مر عليهم المراجع أي إلى الموظف المسؤول عن الإستبدال ومديره وأمين صندوق واحد من الأمناء السبعة

وإلى توثيق كل عملية إستبدال بإستمارة تحمل البيانات الشخصية للمستبدل المطابقة لهاويته الشخصية وإلى توقيعه وتوقيع الموظف المسؤول ومديره

وإلى المبلغ المتلف الذي يسلم للخزينة في قسم الإتلاف

استمرت هذه العملية لمدة حوالي 3 سنوات بين الموظف المسؤول عن إستبدال العملة في البنك ومديره وأمين الصندوق

أما عن الشخص الذي كانت تملأ منها الإستمارة فلم يكن هناك أي شخص كان تكتب أسماء وهمية

ويبقى السؤال إلى الآن كيف تم إكتشاف الأمر إذا طالما أن هذا الموضوع يدور في دائرته المغلقة ؟

في الطابق الثاني حيث مكتب المدير المسؤول عن التوقيع النهائي لإستبدال العملة التالفة حدث أمر غريب أدى إلى إكتشاف الواقعة

ماهو هذا الأمر؟

تجرأ هذا المدير على عمل أمر استغرب كل من علم بالموضوع أن يفعل فعلته فقد كان خلال الدوام الرسمي بالبنك يقوم بإتلاف العملة أي يقوم بعد أن يغلق باب مكتبه من الداخل بالمفتاح بالإستحصال على ورقة رابعة من فئة 100 ليرة سورية من كل ثلاث أوراق حيث كان وقتها أكبر فئة هي ال 100 ليرة

هل عمل هذا الشيء لأنه لايستطيع أن يفعله في بيته أم أنه كان يفعل هذا الشيء في البيت ولكن يريد أن يستبدل نقود أكثر فراح يصنع ذلك في البنك خلال دوامه أم أن سهولة الموضوع والربح الكبير من هذه العملية أنساه مخاطر هذا العمل داخل مكتبه ؟

أستغرب الآذن المسؤول عن خدمة الطابق الثاني في تأمين الشاي والقهوة والماء والمليسة والزهورات والعصير وعلى تنفيذ أوامر المدراء في هذا الطابق بنقل الأوراق والملفات والمعاملات

كترة إغلاق باب هذا المدير بالذات وخاصة في الأشهر الماضية

حاول بطريقته وعفويته وبساطته أن يساعد هذا المدير بعمله الشاق الذي يضطر فيه إلى إقفال عليه الباب والعمل جاهدا طيلة أوقات الدوام عن طريق تقديمه له فنجان قهوة أو كأس عصير أو ماء بارد

فكان رد المدير عليه دائما بالجملة التالية : أنا بس أطلب منك شي بتجيبو

كان هذا الرجل البسيط الذي توظف في البنك يريد ستر الحال ولايريد أن يجادل أي أحد فمابلك بالمدراء

ولكنه كان يلاحظ أمرا غريبا لماذا يتردد الموظف في الطابق الأرضي المسؤول عن إستبدال العملة التالفة على مديره الساعة الواحدة ظهرا من كل يوم وماهو هذا الشيء الذي يأخذه معه في كل مرة مع أنه قبل سنوات سابقة لم يلاحظ هذه الظاهرة التي أرتبطت بإغلاق المدير على نفسه من جوا

وأنا أكتب هذه السطور أستذكر العتال في الإضاءة الأولى كيف أنه كان الفضل له في إكتشاف سرقة كبيرة جدا كان لولاه أبي أحد ضحاياها

وكيف أن هذا الآذن الإنسان البسيط كان هو السبب في ماسنراه لاحقا من كشف هذه العملية الطويلة والمستمرة من السرقة

إنها هذه هي سوريا الملايين الملايين من الإناس البسيطة الصادقة المحبة لكل شيء ماعدا الخطأ

وعدد قليل قليل جدا من الناس الفاسدة التي لاتحب إلا الخطأ

هذه سوريا التي دمرها القليل من الفاسدين ستبقى ملكا لهذه الملاليين المحبة للخير لبعضها لأنها تؤمن أن في نهاية الأمر ستعود سوريا إليهم بعد أن تقضي على فاسيديها

أسر هذا الآذن عما يدور في سره لأحد المدراء في طابقه لأنه خلال 30 عاما من خدمته صار يعرف من هو خرج أن يتحدث معه أم لا في مثل هذه قضية

في يوم التأخير هذا عن قدوم والدي كان حاكم مصرف سوريا المركزي قد طلب من الأمن الجنائي في البنك بإقتحام مكتب المدير المذكور بالقوة فتم ضبطه متلبسا وهو يقوم بتلك العملية

كان تأخر والدي في ذلك اليوم ليس بسبب مشكلة ما في إستلام النقود لإدخالها للخزينة

بل لأن الأمن الجنائي منع خروج كل الموظفين من البنك حتى يتم إغلاق التحقيق في القضية

يريفان في 3-1-2018

الإضاءة الرابعة

عندما أبلغت بوفاة والدي في الصيف الماضي شعرت وكأن نفسا عميقا مملوءاً بالأكسجين قد دخل في رئتاي ولم يخرج منهما إلى الآن و أنه سيستمر معي إلى نهاية الزمان

وشعرت ولأول مرة في حياتي أن أبي

كان ميتا وعاش

كان مسجونا وأطلق السراح

كان حزينا وأصبح فرحاً

كان في هذا العالم ولكنه ليس من هذا العالم (أنتُم في العالَم ولكنَّكُم لستُم منَ العالَم) يوحنا 21:17

كانت سيارة المرسيدس الصفراء المدعبلة ذات موديل الخمسينات تشق طريقها من الشام إلى قريتنا في الشمال وكل ما أذكره عن هذه الرحلة أنا ذو الخمس سنوات أنها كانت تتوقف على يمين الطريق مابين الحين والآخر ليس بسبب عطل فيها بل بسبب عطل في والدي لأنه كان لايستطيع المكوث فيها لفترة طويلة من الزمان

كان جدي أبو أمي غاضبا طول الطريق لسببان

الأول لأستأجارنا هذه السيارة وعدم ركوبنا في الباصات

والثاني عن هذا التوقف المتكررفي كل مرة ومدته ومتى سنصل للقرية في نهاية المطاف

لم يكن خيارنا إستئجار هذه السيارة فهذا طبيعي لعائلة مثلنا متوسطة الحال ولكن طبيب البنك قد أسر لأمي : أنه عليها أن تأخذه ليغير الهواء ونصحها أن لاتسافر به بالباصات لأن هذا قد يشكل خطر عليه لأن الركاب قد يضطرون لضربه أو لترككم على قارعة إحدى الطرقات لأنه أي والدي لايستطيع أن يجلس في نفس المكان لعدة ساعات

كان الوقت صيفيا والهواء الساخن يلحف بالسيارة من كل الجهات

لم يكن مع والدتي أجرة السيارة آنذاك فستدانته من والدها الذي كان راجعا معنا لأنه حضر إلى الشام ليقف مع ابنته التي زوجها قد أصابه إنهيار عصبي وأدخل إلى مشفى ابن سيناء

قضى والدي شهرا في ذلك المشفى وأخرج منها على مسؤولية طبيب البنك ليس لأنه طاب بل لأنه شعرت فيه ثلاثة أضلاع من قفصه الصدري نتيجة ضربه المبرح لأنه كان يرفض أن يأخذ الدواء

لا أعرف كم دامت إقامتنا في القرية لأن الطبيب قد كان طمأن أمي أن لا تقلق من غيابه الطويل عن الدوام لأنه سيبرره له بتقرير طبي منه يعفيه من المقاضاة

كل ما أذكره عن هذه الفترة في القرية أنه كان يحب أن يخرج إلى الطبيعة من الصباح وحتى المساء وفي إحدى المرات ذهبت معه

درنا في الطبيعة وفي أرض أجدادنا بالذات و كان يحب أن يستلقي بجسده على الأرض تحت شجرة صنوبر فيها ليسمع صوت حفيفها الخاص

وفي طريق عودتنا مررنا على نبعة الماء فيها فخطر على باله أن يستحم بمائها فخلع عنه الثياب ورحت أملئ له كفي الصغيران بالماء وأسكبهما على رأسه وهو جالس على مصطبة هناك

وصلنا إلى القرية مع المساء وكان الخبر قد سبقنا إليها أن لوسيان ابن عبد المسيح خيلع تيبوهيك الله كما خلقتني في الشقيف ومانو سألان

يريفان في 4-1-2018

الإضاءة الخامسة

هذه المرة لم يتأخر والدي عن عودته للدار على توقيته الخاص وكان كل شيء على مايرام

ولكن أمي التي هي أقوى من كل المخابرات من الف. بي .آي الأميركية و ال كي . بي . جه الروسية والجستابو الألمانية عرفت أن زوجها ليس هو على رتمه الخاص

فمع تناول الغداء بدأت بإستجوابها الخاص

صاير شي بالبنك ؟

-اليوم تسعة من موظفي البنك ما أجوا على الدوام

خير إنشاء الله شو يلي صار؟

-الشرطة أخدتون من بيوتون بالليل وفي منون هربانين شي جوات البلاد وشي برات البلاد

ليش شو عملوا ؟

-قصة كلها بهدلة ببهدلة مابتنحكى لحدا

بس عند أم عبدو مافي شي مابينحكى إذا كان عم ينحكى عند ماذكرناه أعلاه

فماهي هذه القصة التي لاتحكى ؟

ولماذا الشرطة لاحقت الموظفين إلى عقر دارهم وقبضت على من إستطاعت منهم ؟

ولماذا هرب الباقون إلى خارج و داخل البلاد ؟

هذا ماسنعرفه سوية في القادم من السطور بعد لحظات

يتبع.....

تتجمع في خزينة البنك المركزي في أي دولة في العالم كل فترة زمنية كمية من الأوراق النقدية الغير صالحة للإستعمال نتيجة إستبدالها بجديداتها

وهذه الفترة الزمنية قد تطول أو تقصر بحسب العمر الزمني لهذه الأوراق النقدية

وفي مصرف سوريا المركزي كان قد تجمع فيه خلال ال10 سنوات الأخير عن الحادثة مجموعة من هذه العملة موضوعة في 12 كيسا ممتلئة جاهزة للإتلاف

فماهو الإتلاف إذا كانت هذه العملة هي بالأساس منسقة وممنوعة من التداول بها بسبب تلفانها ؟

الإتلاف هنا يعني إتلافها بشكل نهائي أي ليس خروجها فقط عن الخدمة بل خروجها من الخزينة السورية وإتلافها في مكان ما

كيف تخرج عن الخدمة بشكل نهائي ؟

وكيف تخرج من الخزينة السورية ؟

وأين تتلف؟

وكيف تتلف؟

وفق أنظمة البنوك العالمية في الإتلاف النهائي لبعض عملتها أو كلها وذلك بسبب ما ترتأيه هذه الحكومة تكون المراحل القانونية والمنطقية على الشكل التالي:

تتألف لجنة لهذا الأمر قوامها مجموعة من المدراء للإشراف من مختلف الوزارات المتعلق مهامها بالمال

فمن وزارة المالية ثلاث

ومن وزارة الإقتصاد ثلاث

ومن رئاسة مجلس الوزراء ثلاث

ومن معمل اسمنت دمر مكان الإتلاف ثلاث

ومن البنك المركزي ثلاث

وستة موظفين من البنك المركزي لإتمام وتنفيذ العملية بنجاح

في محضر الإتلاف النهائي الذي وقع عليه الجميع آنذاك والبالغ عددهم 21 كان قد تم كل شيء على مايرام

وأتلفت العملة كاملة في فرن اسمنت دمر من ذاك النهار وعاد كل واحد من ال21 إلى عمله ليتابع مزاولته وقبض أجرة تعبه على هذه المهمة وعلى هذا العمل الشاق عندما قبض راتبه آخر ذاك الشهر بالذات

فما الذي حصل حتى إنكشفت القصة ؟

هل أختلفوا فيما بينهم على توزيع السرقة؟

وكم كان هذا المال الذي وزع فيمابينهم هل هو كل المال الذي كان من الواجب إحراقه أم بعض منه لأنهم مضطرين لذاك؟

الجواب سيأتي سريعا في الحال لأن بعد الآن ما عاد في شي اسمو يتبع .....عند أبو عبيد بالذات لأن القارئ عم ينبعص من التحكم به أثناء متابعته للإضاءات هههههههههه

المهم يا صبايا ويا شباب يلي صار ويلي خلى القصة تنكشف أنو في واحد من هالموظفين الستة تبع البنك قال صحي ضميرو وبطل يحسن ينام فراح يخبر زملائه أن عليهم إعادة المال لأن الذي فعلوه هو مخالف لرب العباد

حاول زملائه أن يهدأوه وأن يطول البال وأن يسهروه أحلى السهرات وأن ينيموه مع أجمل النساء ولكنه غبي (هههههههههههههههه) لم تنفع معه كل هذه الأشياء

وراح يهدد الجميع أنه سيسلم نفسه وسيعترف بكلشي صار

فماهو هذا الذي صار ؟

ولماذا كانوا جميعهم مطمئنين البال عما أقترفته أياديهما ولم يقلقهم سوى هذا الموظف الذي صحى ضميره بعد أن تمت هذه السرقة بالذات ؟

في اليوم المحدد لعملية الإتلاف حملت سيارة البنك المصفحة المخصصة لنقل الأموال عند الساعة 8:30 صباحا موعد فتح الخزنة لتسليم الأموال 12 كيسا قماشيا سميكا معدين للإتلاف

سارت السيارة بإتجاه معمل اسمنت دمر يرافقها سيارة من وزارة المالية تحمل 3 مدراء وسيارة من وزارة الإقتصاد تحمل هي الأخرى 3 مدراء وسيارة من رئاسة الوزراء تحمل نفس الشيء ونفس العدد وكذلك سيارة من البنك المركزي للمدراء الثلاث وسيارة كبيرة من البنك تحمل الموظفين الستة الذي يحملون دفاترهم ووثائقهم ومحاضر الإتلاف

بعد نصف ساعة وصلوا إلى معمل اسمنت دمر وكان هناك بإستقبالهم المدراء الثلاث من نفس المكان

على الساعة 9:30 بدأت عملية الإتلاف بمتابعة 21 موظف حكومي من مختلف الرتب والوزارات

انتهت العملية عند الساعة 10:00 أي بعد نصف ساعة بالذات

فمالذي حصل في هذه النصف ساعة ؟

الذي حصل أن مابداخل هذه الأكياس لم يحرق بل خبئ في داخل المعمل بعد أن أخرج من أكياسه القماش وأعيدت الأكياس الفارغة للخزينة على موعد إفتتاحها على 1:30 ظهرا

كم كيساً تم إتلافه ؟

ماهي كمية المال التي تم سرقتها في ذلك النهار ؟

كيف تم توزيع المال فيما بينهم هل كان بالتساوي أم بحسب المناصب والمهام ؟

كل هذه الأسئلة لم تستطع أم عبدو معرفتها لأن أبو عبدو لم يكن يعرف جوابها هو بالأساس

يريفان في 5-1-2018

الإضاءة السادسة

هذه الإضاءة نسختها من موقعي

www.hababil.com

من مجموعتي القصصية تحت عنوان

حكايات حكاها الزمان وحاكها لكم عبدالله لوسيان نظليان

لأني وجدت أن مكانها هو هنا لأن تضاف

وهي رقمها 43 في تسلسل الحكايات هناك

في غرفة نومهما والمتشارك معهما فيها دائما ولدان وعلى تختهما تربعت أمي بعد أن عاد والدي من الدوام وتناولنا الغداء وأمسكت بكامل معاشه الشهري وراحت توزعه وفق الميزانية التي كانا قد أعداها من زمان

فصفت ثلاثين من الخمسات الجديدة فوق بعضها أي 150 ليرة سورية لكل يوم خمسته من الليرات وقالت بصوت مسموع هادا مصروف البيت هالشهر

ووضعت بجانبها ثمانية عشرة خمسة فوق بعضهما أي 90 ليرة سورية ورددت بصوت مسموع هاي أجرة البيت لها الشهر

كان هذا الطقس في نهاية كل شهر من أمتع الأوقات لدينا نحن الأولاد فملمس النقود الجديدة ورائحتها كانا من أمتع الأشياء

كلما أتذكر هذا الطقس الشهري أتذكر مقولة أمي التي كانت ترددها مع كل عد للمصرات وتوزيعها

هذه الجملة التي تقول فيها دائما : لولا هالمجهود الحربي كل شهر لكانت حالتنا أحسن حال

كان المجهود الحربي على والدي 40 ليرة سورية تقتطع من معاشه كل شهرقبل أن تمس يداه المعاش

أي مايعادل أكثر من 25% من مصروف البيت الشهري

فيرد عليها والدي بعصبية : مابيصير تحكي هالحكي هذا المجهود الحربي هو من سيرجع فلسطين إلينا ويرجعنا إلى هناك

فتنظر إليه والدتي بإستغراب من هذا الكلام وتقول له : هلق هال 40 ليرة بدها ترجع فلسطين

فيرد عليها والدي بشكل حازم وجازم : طبعا مني 40 ومن هداك 40 ومن كل واحد على قد معاشه ودخله بيتجمع كل شهر مبلغ كبير من المال بينشرى فيه سلاح ويمول فيه الحرب على الأعداء

فترد عليه والدتي بقلب منكسر وهي تضب مابقي أمامها من المعاش : إنشاء الله يطلع حكيك مظبوط يالوسيان

لم أكن أدري في ذلك الوقت هل أصدق أمي أم أصدق أبي لأن أمي كانت تعتبر هذا المجهود الحربي هو سبب تعاستنا وفقرنا

وكان أبي يعتبره هو السبب لعودتنا إلى فلسطين هناك

لكني كنت أدرك رغم صغر سني

أن هناك أشياء كثيرة كنا نأمل ونحب أن نأكلها أو نحصل عليها في بيتنا ولكن الذي كان يمنعنا عنها هو هذا المجهود الحربي

وتوالت الأيام ومن بعدها السنين حتى مضت 50 عاما لأعرف وأشاهد أين ذهب هذا المجهود الحربي

وإلى اللقاء في الإضاءة السابعة

يريفان في 6-1-2018

الإضاءة السابعة

على رجال من هذا المكان

رن جرس الهاتف في بيت الجيران عند الساعة 1:45 ظهرا أنه أبو عبدو على طرف الهاتف يطلب أم عبدو على الطرف الآخر ليخبرها أمر ما

عادت أمي إلى البيت ووجهها ممتعض ولونها مخطوف وقد بدا عليه الإصفرار

قالت بصوت خائف : أبوكون اليوم بدو يتأخر قال في أمين صندوق مامسكر صندوقو بس هو ماعليه أي خطر

وراحت تلعن هالمفتاح وساعة الحصول عليه

عاد والدي يومها الساعة 11:00 ليلا وكنا كلنا بإنتظاره هل لنعرف القصة أم لإنشغال البال أم للإثنين معا لا أعرف ولكني كل ماكنت أعرفه أن الجميع قد تنفس الصعداء عند دخوله من الباب

فماذا جرى في نهار ذلك اليوم وفي نصف ليله يا أصدقاء؟

على الساعة 1:30 ظهرا تم فتح الخزنة من قبل الأربع ولكن أحد أمناء الصناديق السبعة لم يحضر لتسليم صندوقه ككل نهار فقد كان لديه مشكلة كبيرة أن صندوقه لم يتسكر معه وهو ناقص وليس زائد بالمال

)تعبير تسكير الصندوق هو مصطلح في علم المحاسبة يطلق عندما يتساوى فيه ماكان في الصندوق في أول النهار مع ماخرج منه و مابقي فيه آخر النهار(

في مثل هذه الحالة الخزنة لاتسكر إلا في حالتين

الأولى تسكير الصندوق

الثانية تبرير النقص وهذا لن يتم إلا بضبط من الشرطة وهذا يعني أن أمين الصندوق صار في خبر كان

كان أمام الأربع إما مساعدة صديقهم أمين الصندوق وإبقاء الأمر سرا حتى يسكر صندوقه وهذا مخالف للقانون ويتحملوا فيه مسؤولية كبيرة لأنهم تستروا على سارق لأن القانون في سوريا لايحمي السوريين عفوا المغفلين

أو تبليغ الأمن الجنائي في البنك المسؤول عن حماية الأموال من السرقة وتنتهي كل القصة

فماذا قرروا الشباب ؟

طبعا قرروا إبقاء الأمر سرا لأنهم أبطال من هذا المكان لأن خوفهم على زميلهم من أن يتبهدل وينسجن وتفقد أسرته معيلها وماينتج عن كل هذا الموضوع من مآسي عدا الشرشحة

ولكن إلى متى سيبقون الموضوع سرا ؟

وكيف سيسكر أمين الصندوق صندوقه ؟

وأين حصل النقص في المال حتى أن الصندوق لم يعد يتسكر؟

أسئلة كثيرة ليس لها جواب الآن على الساعة 2:00 ظهرا موعد إنصراف الموظفين وإغلاق البنك أبوابه حتى اليوم التالي الساعة الثامنة صباحا

أغلق الأربع باب خزنتهم دون أي شوشرة وكأن شيئا لم يكن ككل مرة وصعدوا إلى صديقهم في الطابق الأعلى

كان أمين الصندوق في حالة لايرثى لها من الخوف والرعب والصدمة فلم يكن يعرف مالذي سيفعله أو فعله أو يفعله في هذه اللحظة فالمبلغ المنقوص وقدره 6,300 ليرة سورية آنذاك يعادل ثمن بيت صغيرفي الشام في منطقة لا بأس بها

راح والدي (الذي كان بمثابة غوغل هذه الأيام ليس لأنه والدي بل لأنه هو حقيقة ذلك فقد كان موسوعة في التاريخ والجغرافيا والرياضيات والمحاسبة وكل شيء لأنني لا أتذكره إلا وهو يقرأ وكانت أمي دائما غاضبة منه ومن قرآته هذه وتردد له دائما هذا المثل : خود خرا ولاتاخد قرا

يراجع دفتر أمين الصندوق لذلك النهار للمدفوعات والمقبوضات فوجد أنه هناك تطابق في رقم مدفوع مع النقص في الصندوق ولكن بزيادة على اليمين بصفر واحد من الأصفار

فالمبلغ المدفوع المسجل في الدفتر هو 700 ليرة سورية والمبلغ الناقص هو 6,300 ليرة ولكن لو جمعنا معه 700 المدفوعة لأصبح المبلغ 7,000 ليرة سورية

وبالتالي أمين الصندوق دفع 7,000 بدلا من 700

عندما سئله والدي عن هذه الدفعة بالذات أكد له أمين الصندوق أنه يتذكر أنه دفعها لإمرأة تلبس الحجاب ويتذكر جيدا أنه دفع لها 7,000 وليس 700 من الليرات

ولكن المشكلة لم تحل بعد لأن السيدة موقعة على إستلام 700 ليرة وليس 7,000

من هي هذه المرأة ؟

كيف يمكن الوصول إليها؟

ماذا يستطيعون أن يفعلوا معها ووضعها قانوني 100 ب 100 ؟

ماهي السلطة التي معهم ليجبروها على الإعتراف بأنها قبضت أكثر من مبلغها بعشر أضعاف؟

هل يخبرون الشرطة في هذه الحالة لتتابع هي الموضوع ؟

ماذا سيفعلون الآن ولم يعد واحد منهم هو المتورط بل الخمسة معا في ذاك النهار؟

من البيانات التي تؤخذ من كل قابض للأموال بند يحمل العنوان فقد سجل في بند العنوان أن عنوانها : دمشق - مهاجرين - الجسر الأبيض

وكافة البنود الموجودة في الهاوية الشخصية

خرجوا خمستهم من البنك وذهبوا إلى مختار حي المهاجرين في الجسر الأبيض ولكنه لم يستطع أن يفيدهم في شيء لأنه لم يكن لديهم العنوان بشكل محدد والبيوت لديه مسجل فيها العنوان على أسماء الرجال وليس النساء إلا إذا لايقطن البيت سوى نساء ولم يكن لديه اسم لهذه المرأة في كل السجلات

فنصحهم من أن يبدأوا بالبحث من رقم الخانة الموجود لديهم في البيانات المؤخوز من هاويتها بالذات

وهذا يعني أن يعودوا إلى شرش العائلة التي يعود إليها جذرها في الشام

استمرت عملية المتابعة والبحث من الثالثة ظهرا حتى العاشرة والنصف ليلا حتى حصلوا على العنوان من متابعة الأقرباء لها

الساعة 10:00 ليلا بتوقيت العاصمة الشام تم قرع جرس الباب على المرأة المذكورة وكان يقف أمام الباب 5 رجال من البنك المركزي و وقريب من عائلتها الذي دلهم على العنوان

وليس بيدهم أي بند قانوني لمواجهتها ولكنهم كان لديهم سبب واحد لمواجهتها هو إيمانهم المطلق بزميلهم أمين الصندوق أنه لايمكن أبدا أن يسرق هو المال

فتحت لهم إمرأة بالحجاب الباب فتأكد صاحبنا منها وذكّرها به وبماحدث في ذاك النهار فلم تنكر أنها كانت في البنك اليوم ولكنها لم تقل لهم أنها قبضت 7,000 ليرة سورية بدلا من 700 ليرة فكل ماقالته لهم أن المبلغ الذي قبضته هو كماهو منذ ان قبضته ووقعت عليه موجود في حقيبتها ولم تعده إلى الان

عادت إمرأتنا إلى حقيبتها وأحضرتها وفتحتها أمامهم وأخرجت المبلغ المذكور وكان 700 ليرة سورية فقط

هههههههههههههههههههههههههههه

عم أمزح معكم كان المبلغ الذي عدته أمامهم هو 7,000 ليرة سورية بالتمام والكمال

أخذت منه 700 فقط وأعطت الباقي لأمين الصندوق وأعتذروا منها وأعتذرت منهم لأنها لم تعده أمامه في ذاك النهار لأنها كانت مستعجلة فقد كان عليها إنهاء كثير من الأمور وضب حقيبتها لأنها مسافرة خارج البلد في تلك الليلة و بعد ساعتين بالذات

رفض أمين الصندوق إبقاء المبلغ معه حتى الصباح لأنه أعتبره صار في ذمة أمناء الخزنة وأرتوا الثلاثة الباقين أن يبقى المبلغ مع والدي فأوصلوه إلى باب الدار ورفضوا الدخول إلى البيت لأن الوقت متأخر جدا وكل واحد منهم يريد أن يذهب بأسرع مايمكن إلى عياله وأم العيال فقد مضى عليهم يوم شاق

لكن وعدوه أن يحضروا ثلاثتهم على السابعة صباحا ليشربوا القهوة معا ويرافقوه إلى البنك لأن أربعتهم كانوا يخافون على أن يسير بكل هذا المبلغ في الطرقات

وفي اليوم التالي على الساعة 8:30 صباحا تم تسكير صندوق أمين الصندوق على تاريخ البارحة على الساعة 1:30 ولا حدا شاف ولاحدا دري بالموضوع إلا المقربين جدا من هؤلاء الأبطال وأنتم الآن

وإلى اللقاء في الإضاءة الثامنة يا أصدقاء

على رجال من هذا المكان

يريفان في 7-1-2018